

قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصّة الاستشهاديّ أسعد برّو

بقلم: نسرين إدريس قازان

باسم رب الشهداء

كُنّا مَعَكُم...

دَوّى الرّعد ولَمَعَ البرق... وقفَ لائذًا بحائطٍ يراقبُ المطرَ المنهمرَ بغزارة. كانت أمّه قد طلبَتْ إليه أن لا يخرجَ من المنزل، ولكنّ أسعد أصرَّ على ذلك، فلنْ يؤخّرَه المطرُ عن الحضور في مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

انتظرَ أن يخفَّ المطرُ قليلاً، ولكنّ الرّعدَ والبرقَ زادا من حدّتِه، فما كانَ منه إلاّ أن وضعَ يدَيه فوقَ رأسِه وانطلقَ يعدو في الزّقاق، غيرَ عابئٍ بالبركِ الصّغيرة الّتي غرقَتْ فيها قَدماه، ولا بالبَلّلِ الّذي طالَ كلّ ثيابه، فكلّ همّه أن يصلَ إلى الحسينيّة قبلَ أن يَشرعَ القارئُ بقراءة المجلس.

وصلَ أسعد في الوقت المناسب، ولكنّه بقي في الخارج، فقد تشكّلت تحتَهُ بركة بسبب حبال المياه المنسابة من ثيابه. بحثَ عن زاويةٍ للجلوسِ فيها والاستماع إلى المجلس. كانت أسنانه تصطكّ من البرد، ولمْ يخطرْ في بالِه أبدًا أن يعودَ أدراجَه إلى المنزل، لتحضِنَه أمّه وتدفِّئه، بلْ استمعَ بتمعّنٍ إلى كلّ كلمة قيلَتْ في المجلس، إلى أنْ قال القارئُ: **«يا لَيتنا كُنّا مَعَكُمْ فنفوزَ فوزًا عظيمًا...»**.

وقفَ أسعد وقدْ هزّتْ هذهِ الكلمة وجدانَه، عادَ إلى المنزل كما جاءَ تحتَ المطر، ولكنّه عِوضَ الرّكض، مشى بهدوء وهوَ يفكّرُ بهذه الجملة ومعناها.

صباح اليوم التّالي استيقظ أسعد باكرًا جدًّا ليجلسَ معَ والدِهِ قبلَ توجّهه إلى العمل، فسألَ أباه: «ماذا يعني يا ليتنا كنّا معكم؟». فتحَ والدُه عيناه وهزّ برأسه: «أف! ما هذا السؤال؟! جوابُه سهل، ولكنّ فِعلَه صعبٌ».

استغربَ أسعد، وقد سألَه والدُه: «إذا كنتَ في كربلاء يوم العاشر، مع من كنتَ ستقاتل؟»، تعجّب أسعد: «وهل هذا سؤال يُسأل؟! مع الإمام الحسين بلا شك»...

ردّ أبوه: «هذا الجزء السهل من الجواب، القولُ باللّسان، أتعلم يا ولدي أنّ من بين من قتل الإمام الحسين من كان يصلّي صلاة اللّيل؟».

شهق أسعد: «يصلّي صلاة اللّيل؟! المؤمنون فقط من يصلّون صلاة اللّيل!».

- هذا جوابُ الجزء الصّعب من السؤال، فالوقوف في كربلاء ليس سهلاً ».

خبط قلب أسعد فزعًا.

جلسَ في زاوية يستمعُ للمجلس ويبكي، واحتارَ عقلُه وهو يبحثُ عن طريق للوصولِ إلى كربلاء، هو لا يريدُ أن يكون معهم باللّفظ، بلْ بالفعل.

لمْ ينمْ أسعد ليالٍ عديدة، وبدا الشرودُ واضحًا في عينَيه، إلى أن انتظرَ والدَه ذاتَ ليلة، وكان أبوهُ يعودُ متأخّرًا من عمله، فجلسَ بالقرب منه وقال له : **«أريدُ أنْ أصبحَ فدائيًّا».**

كادَ أبوهُ يغصُّ بلُقمته، ليسَ لأنّه ضدّ العملِ الفدائيّ ـ وهي أولى منظّمات المقاومة ضدّ العدوّ الإسرائيليّ ـ بل لأنّ ابنه لم يتجاوز الثّانية عشرة من عمره.

أخبرَه أنّه لن يُقبَلَ لصِغر سِنّه، وأنّ هناكَ الكثيرَ منَ المخاطرِ المُحْدِقةِ بهذا الخيار، فلينتظرْ ليكبَرَ قليلاً على الأقلّ لِيستطيعَ حَمْلَ البندقيّة.

هل فعلاً سيُؤَخّره العمرُ عن ما يريد؟ وهل أخّر ذلك القاسم عليه السلام؟ هل أخّر عَمْرو بن جنادة الأنصاريّ وغيرهما من شهداء كربلاء؟! لا... لا شيء سيُؤخّره...

في اليوم التالي تقدّم أسعد بطلب الانتساب للعمل الفدائيّ، وبدأَ تدريباته العسكريّة، وأُعجبَ المدرّبون بشجاعتِه وجُرأتِه.

نظرَ أسعد إلى السّماء مبتسِمًا، لا شكّ أنّ بينهما موعدًا ذات يوم، فقد وضعَ قدَمه في أوّلِ طريق كربلاء، وما عليه سوى المضيّ قُدُمًا ليصلَ إلى الإمام الحسين عليه السلام.

بعدَ سنوات، تنفّس أسعد الصّعداء وهو ينظرُ إلى السّماء، فقد رفعَ قدَمَه عن مكابِحِ سيّارته، وضغطَ على الوقودِ لِتنطلقَ سيارتُه في طريق مرجعيون ـ القليعة، وكان ذلك في السابع من شهر محرّم، عندما تقاطعَتْ سيّارتُه معَ قافلةٍ للعدوّ الصّهيونيّ، فصرخ قائلاً: **«فنفوزَ فوزًا عظيمًا»**، وانفجرتْ سيّارتُه بالقافلة.

تناثرت أشلاؤه قرب النّار... كلّما قُلنا يا لَيتنا... علينا أنْ نسألَ أنفسَنا: **«إذا كُنّا في العاشر من محرّم في كربلاء، هل حقًّا سنكونُ من أصحابِ الإمام الحسين عليه السلام؟**

جميع الحقوق محفوظة 2021

